

شهرية السينما

الازمة الراهنة فى السينما الأمريكية

و «هيومورسك» فجميع هذه الأفلام تبدأ من نهايتها لا لشيء إلا للمحاكاة التى لا مسوغ لها . ففي الفيلم الأول « لن يصدقونى » يبدأ الشريط فى المحكمة حيث يقص المتهم قصته ، والثانى يبدأ فى مستشفى حيث نرى سيدة قد اختفى وجهها تحت الأربطة البيضاء وهى تعاني آلاما مبرحة من حروقها . ثم يستعرض لنا الشريط قصة هذه المرأة حتى وقوع الحادث . أما الثالث وهو « قضية أسرة ما كومبر » فنرى فى أوله وصول جثة ما كومبر بالطائرة ، ثم نعلم كيف قتل هذا السيد من اعترافات الصياد ولسون أثناء التحقيق . وهذا الفيلم قد وضع قصته الكاتب الأمريكى إرنست همنجواى وأخرجه بيندكت بوجوس . والقصة تافهة ، والاخراج مهمل كل الإهمال حتى لجأ المخرج إلى مناظر فيلم قديم عنوانه « التاجر هورن » ليصور مناظر الصيد وعدو الوحوش فى غابات كينيا . ومن يشهد الفيلم يشعر شعوراً قوياً بأن الممثلين لم يواجهوا وحشاً ولم يذهبوا إلى غابات إفريقية . هذا عدا الضوء الردى الذى جعل الصورة بيضاء غير واضحة المعالم أحيانا . أربعة أفلام أخرجت على نمط واحد وعرضت فى وقت واحد . أليس هذا دليلاً كافياً على ما تعانيه الأفلام الأمريكية من أزمة لا نرى معالمها فى الاخراج فحسب وإنما نراها أيضاً فيما تنشئ أمريكا من قصص ؟ لقد شهدنا فى هذا الشهر فيلمين ما هما إلا إعادة لفيلمين

إن صناعة الأفلام فى أمريكا تمر الآن فى أزمة شديدة . نلاحظ هذه الأزمة فى جميع الأفلام التى تعرض علينا فى هذه الأيام : فهى واضحة فى القصص التى تخرج فى ستوديوهات هوليوود ، وفى أساليب الاخراج ، وفى التصوير حيناً ، وفى التمثيل أحيانا . وهذا لا يعنى أن فى هوليوود ركوداً عاماً أو إهمالاً سائداً فى الإنتاج . فهناك محاولات يبذلها أفراد للتجديد والابتكار ، نذكر منهم اثنين شهدنا ما وصلوا إليه من نتائج ، وهما أورسون ويلز الذى تكلمت عنه فى المقال السابق ، وروبرت مونجمورى الذى ابتدع نوعاً جديداً من الأفلام حيث تلعب آلة التصوير الدور الرئيسى فى القصة ، أو بمعنى آخر حيث لا تسجل إلا ما يراه الفتى الأول الذى يقص علينا قصته . وقد شهدنا هذه الطريقة الطريفة فى إخراج فيلم « السيدة فى البحيرة » *Lady in the Lake* . أما المخرجون الآخرون فمنهم من يتبع منهجاً بعينه لا يحاول أن يغير منه شيئاً ، ومنهم من لا يجد سبيله إلى الابتكار فيحاول أن يحاكي من يراهم أقدر منه على الابتكار . وقد تحدثت فى العدد السابق عن طريقة عرض الحوادث بالتقهقر التى ابتدعها أورسون ولز وتناولها بعده المخرجون فى هوليوود وأسرفوا فى استعمالها دون مسوغ حتى فقدت طرافتها . لقد شهدت ما يزيد على أربعة أفلام فى أسبوع واحد عرضت حوادثها على هذا النمط ، وهى « لن يصدقونى » و « انهيار » و « قضية أسرة ما كومبر »

الألوان ؛ ولأنه يساعد المخرج أيضاً على أن يسبغ على فيلمه طابعا واقعيا . ولكن للأن لم ينتج هذا النوع من الأفلام إلا في المهارة الراقصة فحسب إذ تزيد الألوان الصورة بهجة وروعة . أما في الأفلام الأخرى ، وخاصة في الأفلام السوداء ، فلم تنتج الألوان في إعطاء طابع واقعي للشريط . فالسما تبدو أكثر زرقة من الواقع ، والوجوه تظهر أكثر احمراراً من الحقيقة . وهناك عنصر آخر ضروري للأفلام السوداء أو القصص العنيفة وهو الضوء القاتم . وهذا الضوء لا يمكن إظهاره في الصورة الملونة ، مع أنه يبدو جليا في الصورة البيضاء أو السوداء التي تفوق الصورة الملونة في أنها تسمح لخيال المشاهد أن يسبغ على الأشياء الألوان التي تروق له ، وأغلب الظن أنه أكثر قدرة على إيجاد اللون الطبيعي الملائم . ولننظر إلى الفيلميين الملونين « السماء الزرقاء » و « غضب الصحراء » فالأول منهما فيلم غنائى راقص ، والثاني فيلم مغامرات وحب . ولست أرى هنا إلى دراسة الألوان فحسب أو قيمة الصورة الملونة ، وإنما أريد أن أعرف إلى أى حد يلائم هذا النوع من الأفلام كلا القصتين . « فالسما الزرقاء » فيلم مرح مليء بالأغاني والاستعراضات الراقصة ، والموسيقى الشجية المطربة . فالألوان هنا ساعدت على إبراز رونق هذه الاستعراضات ، وساهمت في إنشاء جو مرح طول الشريط . كانت الألوان هنا إذن عنصرا مهما في إخراج القصة . أما في الفيلم الآخر « غضب الصحراء » فلن نجد للألوان مسوغا إلا نزوة المخرج . فهذا فيلم غرامى تافه القصة يطمح إلى أن يكون مأساة عنيفة ، ولكن لا يجد سبيلا إلى أن يكون مأساة عنيفة ، لما أدخل عليه المخرج

سابقين لبقيا فيما مضى بقصتيهما أو بجوهما نجاحاً كبيراً . نجد في قصة « انهيار » تكرارا لفيلم « عطلة الأسبوع المفقودة » . « فانهيار » ما هو إلا قصة امرأة امتحنت بداء الخمر بعد أن أهملها زوجها ليتفرغ لفنه . و « عطلة الأسبوع المفقودة » الذى ظفر بجائزة في مهرجان كان ما هو أيضا إلا قصة شاب امتحن بالداء نفسه . أما الفيلم الثانى فهو فيلم « دراجون ويك » الذى يعد من القصص السوداء ويذكر بجوه القاتم فيلم « ريبكا » الذى أخرج منذ أكثر من أربع سنوات . وقد يذكرنا أيضا هذا الفيلم « بيجين إير » للتشابه الذى يوجد بين بطلى القصتين . فثمة تكرار في القصة وفي جوها وفي رسم شخصياتها . فكان مخرجى هوليوود وكتابها لم يستطيعوا إلا أن يحتذوا بنماذج وضعت لهم خصيصا ليحاكوها تمام المحاكاة ، غير معنيين بأن يجددوا في تأليفهم وإخراجهم . وهذا لا يعنى أن فيلم « دراجون ويك » لم يصب نجاحا كبيرا ، أو أنه أخفق إخفاقا شنيعا لآنك تلمس فيه شيئا من الجهد وإن لم يصل إلى حد العنف . فقد لجأ المخرج إلى طريقة طريفة ليعبر عن اللعنة التى تعذب هذه الأسرة . لقد رمز إلى هذه اللعنة بشبح امرأة يعود إلى القصر حين توشك المكارثة أن تقع ويأخذ في الغناء ، ولكن لا يسمعه ولا يراه أحد غير أفراد الأسرة الملعونة . وقد نجد أيضا في الفيلم بعض صور تذكر باللوحات الفنية الهولندية . وما دمنا نتحدث عن الاسراف في عالم السينما الأمريكية فلنتحدث عن الأفلام الملونة . هذا نوع من الأفلام أسرف في استعماله ، وأسئ إليه في كثير من الأحيان مع أنه جدير بالاعتناء ؛ لأنه يساعد المصور على تحقيق صور فنية جميلة . تنسجم فيها

لا يسعهم إلا محاكاة أساليب ويلز ؛ وإن أتوا بأسلوب مبتكر فسرعان ما يسرقون في استعماله حتى يملأه المشاهد . فهؤلاء المخرجون يعتبرون أسرى لأساليب موضوعة ولقوانين بالية لا يستطيعون مخالفتها . لا بد لهم من الاستوديو ولا بد لهم من التزييف ليعرضوا علينا الواقع . ألا يمكنهم أن يتركوا معامل التزييف ليصوروا مناظرهم ؟ فلماذا لا يصورون شخصيات قصصهم في شوارع المدن أو بين أحضان الطبيعة كما يفعل الايطاليون حين وجدوا أن معدات استوديوهاتهم لا تصلح لتصوير الحقيقة : فالجواهر في الأفلام الإيطالية جواهر صورية في مدن إيطالية لا حشد من الكومبارس ، والشوارع في الأفلام الإيطالية شوارع حقيقية لم تشيد من الورق المقوى في فناء الاستوديو . والسينما في إيطاليا تتنازع بهذا الطابع الواقعي الذي تخلو منه الأفلام الأمريكية المزيفة .

وإذا كانت الأفلام الفرنسية لا تجدد معدات تساعدنا دائماً على الإخراج المتقن فانك تجد فيها ما ينسبك هذا الضعف . فالقصة في كثير من الأحيان حسنة قوية ، والحوار أدبي زعيق ، والصورة جميلة متقنة ، والتمثيل يدل على فن سام . ففي فيلم « الفتاة ذات العينين الخضراوين » سحرنا فرناند لودو بتمثيله المتقن وبقدرته على التعبير الصحيح . ولننظر إلى فيلم « صورة مطابقة » الذي مثله لويس جوفيه . إن قصة الفيلم تافهة لا قيمة لها ، ولكنها تتيح للممثل أن يظهر فنه في أدوار عدة ، إن صح أن نعتبر أدوار الشخصيات التي اتحلها بطل القصة . فهذا لص مغامر وجد له شبيهاً فاتخذته ليتستر وراءه أثناء مغامراته ، وكان هذا الشبيه صورة مطابقة للص . وقد قام لويس جوفيه بتمثيل الشخصيتين : والشاهد

والقاص من مشاهد وتفصيل لا يحرق على إضافتها إلا الأمريكيون . لقد أراد المخرج أن يجعل المشاهد في لفحة على بطل الرواية التي تحب رجلاً شريراً ، فأسرف في المشاهد الخطيرة ، والمعارك العنيفة ، والعدو في طرق الصحراء الموحشة ، إلى غير ذلك . ولو كان هناك مناظر طبيعية تستدعي استعمال الألوان لأظهار حسناتها لوجدنا مسوغاً للصورة الملونة . ولكن لا القصة ولا المناظر تسوغ استعمالها : فربما كان المخرج يرمى إلى إظهار لون شعر ليزابيت سكوت ممثلة الفيلم !

فالسینما الأمريكية إذن تعاني أزمة شديدة رغم هذا الانتاج الضخم الذي تغمر به أسواق العالم . وهي إزاء هذه الأزمة التي تزداد وضوحاً إذا نظرنا إلى المحاولات الناجحة التي يقوم بها المخرجون الأوروبيون عامة والفرنسيون والانجليز والایطاليون خاصة لا تفعل شيئاً . لقد شهدنا ما قام به كوكيتو ورنيه كير في السينما الفرنسية وأعجبنا بآثارهما . وسنشهد ما قام به الايطاليون عما قريب في أفلامهم : مثل « روما مدينة مفتوحة » و « بايزا » و « شوشا » . فالانتاج الأوربي حالا يهدد الانتاج الأمريكي ، لاسيما أن السينما الأمريكية لا تجد من يجدد في أساليبها ويزودها بالقصة الصالحة الحسنة . نعم إن هنالك أورسون ولز وروبرت مونتنجمرى وسام وود . ولكن أيكني ابتكار هؤلاء لأحياء السينما في أمريكا؟ لم نر منذ أمد بعيد أفلاماً فيها شيء من التجديد والابتكار . ففرانك كابرا دائب على اتباع أسلوبه في الإخراج ، وسيسيل دى ميل دائب أيضاً على تحقيق أفلامه حسب منهجه المألوف . والآخرون مثل نيجولوسكو وسيلزنيك وبوجوس ، هؤلاء الأشخاص الذين تملأ أسماؤهم دنيا السينما دوماً

و خلاصة القول أن السينما الأوروبية قد تقدمت بعد الحرب تقدماً أقلق الأمريكيين وإن كان لم يدفعهم إلى تحسين إنتاجهم ؛ بل دفعهم إلى زيادة عدد الأفلام التي ينتجها الاستوديو ليغمروا السوق ويحولوا دون تصدير الأفلام الأوروبية . وهم حين يعملون لهذا الانتاج لا يهتمون بقيمة ما ينتجون ، وإنما يعنون بعده . وقد توصلوا إلى عقد معاهدات تمنع بعض الدول من تصدير أفلامها إلا بعد سنة أو سنتين من إنتاجها . وهذه الاجراءات وإن كانت تسمح لأمريكا أن تواصل صناعة الأفلام ، فهي لا تحل الأزمة التي تزداد في هذه الصناعة . إنه من المؤلم أن نرى هذا الفن يسقط تلك السقطة في أمريكا ولا يحاول أحد أن يرفعه . وأكبر الظن أن أوروبا قد تلتقت هذا الفن وأنها قد أحيتة تماما . لقد انتقل فن السينما من أمريكا إلى أوروبا نهائيا .

مضى فلم

لا يلمس عبقرية جوفيه في التمثيل إلا في دور الشبيه لأنه بدا في دور اللص كما اعتدنا أن نراه دائما ، لم يغير شيئا من تعبيراته ولا من نبرات صوته . أما في الدور الثاني فقد غير كل شيء : اختلف التعبير كل الاختلاف ، وتبدل صوته تمام التبدل ، وحتى قامته ، وتعثر في مشيته . ولم يكن الفيلم إلا ليظهر لنا جوفيه ممثلا قديراً . فأنت تلمس في الأفلام الفرنسية محاولات تكون ناجحة حيناً ، أو تكون بين النجاح والاختفاق حيناً آخر ، ولكن على كل حال تلمس طموح الفرنسيين إلى الوصول إلى الفن الصحيح . وستتيح لنا الفرصة أن نرى ما أنتجته فرنسا من أفلام قيمة مثل « الصمت من ذهب » و « معركة القضيبان » و « السفنوية الريفية » . لما نر تلك الأفلام ولكن ما قاله عنها النقاد ومن شهدوها في فرنسا ينبئنا أنها إنتاج فني رائع .